الرقابة المصرية سمحت للمرة الأولى باظهار العنف الأمني وبالاشارة لبعض رموز الفساد

عمارة يعقوبيان: الواقعية الجديدة في تراجيديا السلطة والارهاب والبغاء السياسي

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من كمال القاضي:

استرعت الضجة الاعلامية التي أثيرت حول رواية د. علاء الأسواني «عمارة يعقوبيان»، انتباه السيناريست وحيد حامد فسارع بتحويلها الى فيلم سينمائي بعد شرائها من المؤلف بثلاثة عشر ألف جنيه عوضهم بعد توقيع عقد الانتاج مع المنتج عماد أديب بنحو مليون جنيه نظير كتابة السيناريو أو النص السينمائي كما أحب أن يطلق عليه، علماً بأن المقارنة بين الرواية الأصلية والسيناريو لم تشر لأي تغيير يذكر يجعل لمسمى النص السينمائي منطقا ما، فلم يخرج وحيد حامد في صياغته الدرامية قيد أنملة عن النص الروائي غير أنه استهل أحداث الفيلم بهجوم سافر على ثورة يوليو ليبرز انحياز الكاتب علاء الأسواني لزمن ما قبل الثورة والأفكار الليبرالية لحزب «الوفد» القديم، وان كان الأسواني قد نفى ذلك في بداية صدور الطبعة الأولى من الرواية الا أن واقع الأحداث الروائية والسينمائية قد أثبت هواه الدفين لـ«الوفد» بما لا يستطيع انكاره أو التبرؤ منه، وهو حق مكفول له بشرط أن يكون معلنا لا أن يتم التعبير عنه ضمنيا وبشكل مراوغ، في الوقت الذي يعتلي فيه المنبر الناصري ويجند نفسه في كتيبة الصحيفة الناطقة بلسان الحزب «العربي» ويصبح أحد كتابها البارزين.

وبعيدا عن المحاكمة السياسية لصاحب الرواية فان شيئا ما يستوجب العناية بالفيلم وتناوله فنيا، فهو بلا شك عمل مختلف في الموسم السينمائي تحسب جرأته لرباعي التأليف والانتاج والاخراج والرقابة على المصنفات الفنية التي أجازت برئاسة علي أبو شادي مشاهد العنف الأمني والاغتصاب ومزقت الغلالة الرقيقة التي كانت تستر عورة النظام ورؤوس الفساد الذين استثمروا أموال الشعب وتاجروا بحريته وانتهكوا حرماته، فضلا عن الاشارات الدالة على أسماء بعينها مازالت في السلطة تمارس رذائلها وان تقلص نشاطها نسبيا عن ذي قبل. الفيلم بشخصياته الرئيسية والمحورية يجسد حالة الانهيار والتفسخ التي اعترت المجتمع وحولته الى غابة يتصارع فيها الأقوياء بشرائحهم المختلفة ودرجات نفوذهم المتباينة، فيما ترزح الغالبية من البسطاء تحت وطأة الفقر والجوع وتدفع دون غيرها ثمن المتغيرات الاجتماعية التي جنت عليها واغتالت أحلامها بأثر رجعي يعود الى بداية عصر الانفتاح الذي حول ماسح الأحذية الى واحد من كبار رجال الأعمال وعضو بالبرلمان.

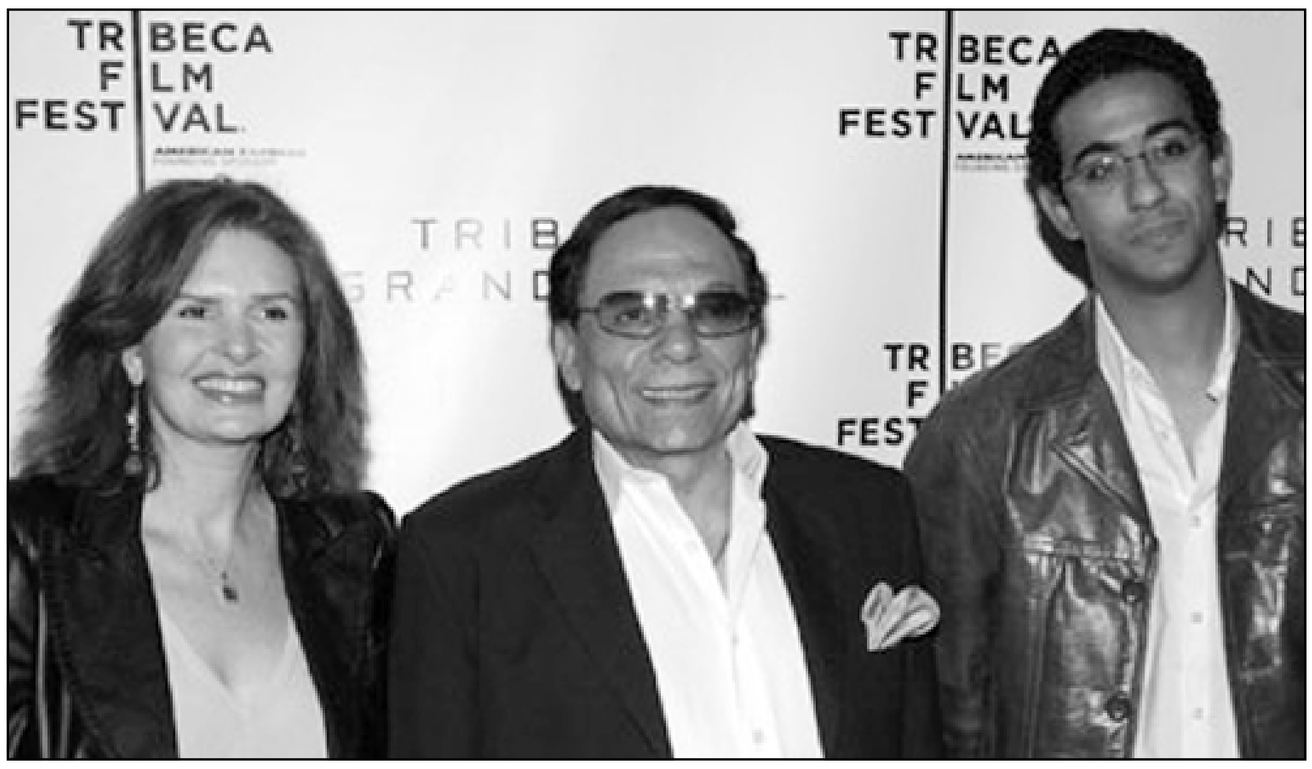

ابطال الفيلم خلال مؤتمر صحافي

تاريخ قريب لعهد بائد هدم أهم انجازات الثورة وشوه وجهها الأبيض الناصع فصار من وجهة نظر البعض امتدادا لها ودفعهم للتباكي على زمن «الباشوات» من أمثال بطل الرواية والفيلم «زكي الدسوقي» الثري العربي الذي بدد أمواله في السكر والهلس والجري وراء نزواته ورغباته الحسية المريضة التي استحق عليها أن يضرب بالحذاء من شقيقته «دولت هانم» ويطرد من شقته الفاخرة ويقيم في مكتبه العاطل عن الحركة والعمل فيصير صديقا للدهماء والمرتزقة وحثالة القوم من السماسرة والطفيليين والقوادين بتركيباتهم النفسية الدنيئة وقدرتهم على التسلق والتكيف والقبول بلعب الأدوار المنحطة من نصب واحتيال وسرقة وتسهيل أعمال الدعارة للباشا الكبير الذي تجاوزه الزمن فبات مكتفيا بممارسة الامارة على نفايات البشر وعاهات المجتمع في تبذل ورخص ينفي عنه أي هيبة أو جدارة بالعظمة والكبرياء المنسوبان اليه في سياق رسم الشخصية التي لعب دورها وتقمصها عادل امام بكثير من الصدق في الأداء، هذه الشخصية تحديدا هي التي بنى عليها علاء الأسواني قواعد عمارته واستهدف من ورائها تعاطف القارئ مع زكي الدسوقي ـ الرمز الوفدي القديم فسار على نهجه وحيد حامد وهو لا يدرك أن طبيعة الشخصية وسلوكها لا تستاهل التعاطف، بل على العكس تستوجب الرفض وتثير حفيظة المشاهد تجاهها وتعضد دور الثورة التي خلصت المجتمع من هذه النماذج التي لا تنشغل بغير شهواتها ومن ثم فان الزهر قد انقلب على صاحبه، فالحق الذي كان يراد به باطل سواء في الرواية أو الفيلم قد ظهر جلياً في نزق الباشا القديم ورعونته بما يبرئ الثورة من تهمة تحويله الى عاهة!

غير أن الشخصيات الأخرى التي جسدها نور الشريف وخالد الصاوي وأحمد بدير وأحمد راتب وهند صبري ومحمد امام والتي توزعت في اختصاصاتها الدرامية ما بين النصاب والحرامي والوصولي والداعر والمستغل والارهابي وتاجر المخدرات والشاذ والمعدم والمضطر، الى آخر تكوينات العمارة الشهيرة «يعقوبيان» قد انصب تأثيرها الكلي على ادانة الدولة الراهنة والنظام الحكومي الذي سمح بهذا التشكيل المريب وأعطاه الفرصة للتعايش والانسجام على أنقاض مجتمع أرست فيه الثورة قواعد العدل والمساواة وجاهدت من أجل تحريره من العبودية والاستعمار فجاء النقيض متشحاً بسواد البطالة وبيع القطاع العام والخصخصة وتأجير كراسي البرلمان للصوص ونواب الكيف والقروض، وكلها اشارات وتحولات أسفرت عن سيادة قانون الارهاب ومواجهة السلطة الحاكمة بالقوة لا بالقانون، حيث فقد الشعب ايمانه بالتغيير السلمي فنشأت بينه جماعات الارهاب والعنف كرد فعل غير محسوب لاستلاب الروح والحرية. تلك النقاط الجوهرية هي العرض العام في الصورة الدرامية القاتمة لوحيد حامد وابنه مروان في ثاني تجربة اخراجية له بعد فيلمه الروائي القصير «لي لي» المأخوذ عن قصة الكاتب الكبير يوسف ادريس والتي كانت بداية مبشرة بصعود مخرج شاب وبزوغ نجمه بين أساطين صناعة الدراما في مصر والوطن العربي. يبقى أن نقول أن «عمارة يعقوبيان على المستوى الأدبي والسينمائي مثلت حالة فنية في رصدها الاجتماعي لطبقية المجتمع الجديد، ولكنها انتزعت الوقائع من سياقها التاريخي، خاصة فيما يتعلق بموقفها من الثورة وتلميحاتها غير المنصفة للمتغيرات السياسية وما ترتب عليها من تعديلات في البنية الاجتماعية وحتى رسوخ أقدام عبدالناصر في الحكم 1954 واستقرار المشروع النهضوي بداية الستينيات. الفيلم بما له وما عليه تجربة تحسب للسينما المصرية ونتمنى أن يكون نقطة تحول على تجديد الوعي واعمال مبدأ الديمقراطية وقبول الرأي الآخر، دون اعتناقه.

بعد اعلانها الحرب على الكوميديا الحالية ترى أن مسرح عادل امام والشرقاوي وصبحي حالات استثنائية:

هالة فاخر: ممثلات الكوميديا الشابات لا يضحكنني

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من عمر صادق:

في سابقة غريبة، ابتعدت نجمة الكوميديا الفنانة هالة فاخر عن تقديم أعمال كوميدية في الآونة الأخيرة، وترحب بأي عمل تراجيدي رغم اعترافها بانها لا تستطيع العيش بدون كوميديا. حال الكوميديا ـ حاليا ـ كما تؤكد هالة جعلها تعيد حساباتها مع نفسها ومع هذا الفن الذي أعطت له الكثير منذ أن بدأت رحلتها الفنية من ربع قرن.

■ هل صحيح ما يتردد بان عدوى الكوميديا في السينما انتقلت الى الشاشة الصغيرة أيضا؟

■ **ما يقدم في السينما ليس كوميديا، ومن خلال مشاهداتي الأخيرة أحس أن هذا الفن لا يمت بصلة الى الكوميديا بالمعنى الذي درسناه ومارسناه سواء على خشبات المسرح أو شاشات التليفزيون والسينما.**

■ اذن بماذا تطلقين عليها؟

■ **كوميديا للأسف تغازل الناس وتضحك عليهم ولا تمس أوتار قلوبهم، ولا أعرف الى أين يسير هذا الفن الجميل.**

■ وهل لهذا السبب كان ابتعادك المفاجئ عن الشاشة الكبيرة تحديداً؟

■ **أنا في الأساس لا أستطيع الابتعاد عن السينما لأنها في دمي، وأعشقها منذ كان والدي رائدا فيها وواحدا ممن بنوا صرحها.**

■ هل صحيح انك وضعت شروطا لعودتك الى السينما، وما هي؟

■ **أنا أرفض العودة الى السينما، واذا عدت فسوف افرض شروطي وبالطريقة التي تحفظ ماء الوجه لي ولجيلي وتحافظ على تاريخنا فيها.**

■ مستقبل الكوميديا في السينما والفيديو مظلم من وجهة نظرك، فهل الحال كذلك بالنسبة للمسرح؟

■ **المسرح أيضا يتعرض لأزمة. ويبحث عن وسائل لجذب الجمهور اليه خاصة في ظل جذب الفضائيات العربية للمشاهدين اضافة الى ذلك زيادة لانتاج الدرامي السينمائي والتلفزيوني وكلها عوامل من وجهة نظري تضغط بشدة على مراكز وحواس الجمهور وتجعل المشاهد حائلا في الاندماج مع المسرح بشقيه العام والخاص.**

■ هناك مسارح نجحت في احداث نوع من التوازن بين الجمهور ومتطلبات السوق من ناحية الانتاج مثل جلال الشرقاوي وعادل امام ومحمد صبحي؟

■ **مسرح الشرقاوي وعادل امام وصبحي حالات استثنائية لا تتكرر وحققوا المعادلة الصعبة في المسرح من تثبيت مفهوم المسرح المحترم الذي يحمل قيمة حقيقية للمجتمع، ولكني أنا أقصد المسرح بشكل عام وليس استثنائيا والمعنى واضح.**

■ لماذا فشل نجوم الكوميديا من الشباب في حمل لواء المسرح الجاد من وجهة نظرك؟

■ **لا نستطيع أن نعلق المشانق لكل شباب هذا الجيل، فمازال المسرح ينعم بالعديد من المواهب، وهناك الفنانة عبلة كامل رغم انها تنتمي الى جيلي لو أتيحت لها الفرصة في المسرح لكسرت الدنيا وأنا اعتبرها سفيرة «كوميدية» فوق العادة.**

■ ما رأيك في اسناد فيلم «كلم ماما» كبطولة مطلقة لها في السينما؟.

■ **مؤشر طيب يبعث على التفاؤل بالنسبة لجيلي، وأعتقد أن اسناد هذه البطولة سوف يفتح المجال لبطلات أخريات لتحمل بطولة فيلم بمفردهن.**

■ من يلفت نظرك من الممثلات الشابات في الكوميديا؟

■ **مازال هذا الموضوع يحتاج الى اعادة نظر، وبصراحة لم تلفت نظري «موهبة» شابة في هذا المجال وربما المسألة تحتاج الى مزيد من الوقت للحكم على تجاربهن، ولكن التجارب الأولية تؤكد افتقارهن لفن الكوميديا لأنهن غير مؤثرات فيه.**

■ هل تجدين صعوبة في التحول من منطقة الكوميديا التي تجيدنها الى التراجيديا؟

■ **الفنان الموهوب يستطيع أن يمتلك الناحيتين، ويجيد أداء اللونين وليس معنى اجادتي للكوميديا انني لا استطيع الاجادة في التراجيديا، الحمد لله أنا أجيد اللونين.**

■ مسلسل «بوجي وطمطم» اخراج الراحل محمود رحمي، هل ساهم في حب الصغار لك؟

■ **بالتأكيد، خاصة أن شخصية «طمطم» محببة للأطفال جدا ويسألون عنها باستمرار برغم توقف البرنامج منذ 4 سنوات، وهذا يدل على أنها موجودة وبقوة بين الصغار والكبار.**

■ من يصنع النجومية؟

■ **كثرة التجارب، وكثرة الأخطاء.**

■ والخبرة؟

■ **يمكن اكتسابها مع مرور الوقت.**

■ ومن صنع هالة فاخر؟

■ **عشقي لمهنتي هو سبب شهرتي وهو أيضا الذي صنعني.**

■ والدك الفنان الراحل فاخر فاخر كان رائدا في مجال التراجيديا، لماذا لم تستمري في طريقة؟

■ **والدي لم يكن يقدم التراجيديا فقط ولكن كانت له أعمال كوميدية أيضا وكان رائدا في تقديم اللونين وكان «فنانا» من طراز فريد.**

هالة فاخر في لقطة من احد افلامها

■ ماذا تعلمت منه؟

■ **الصدق والصراحة.**

■ وبماذا استفدت من مشواره؟

■ **الثقة والاعتزاز بالنفس.**

يتحدث بغضب عما يحدث على الساحة:

المطرب المغربي عبده شريف: أرفض المتاجرة باسم وفن عبد الحليم حافظ

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من محمد عاطف:

أكد المطرب المغربي عبده شريف انه يرفض الدخول في متاجرة على اسم وفن العندليب الراحل عبد الحليم حافظ كما يحدث الآن، ولذلك لن يقدم فيلما عن حياة العندليب كما تردد في الوسط الفني كثيرا.

وقال: أنا أغني أعمال عبد الحليم حافظ الذي أعطاني فرصة الانطلاق للشهرة والنجومية من خلال أداء أغانيه بإحساسي وأسلوبي فنجحت مع الجمهور، وقد عرض عليّ منتج كبير بطولة فيلم عن حياة عبد الحليم حافظ بأي أجر.

وقال لي بالحرف الواحد: فيلم عن عبد الحليم سوف ينجح نجاحا مبهرا لأن هناك ما لا يقل عن حوالي 300 مليون عربي سوف يقبلون على مشاهدة الفيلم ولو جعلنا تذكرة الدخول بجنيه واحد فسوف نحقق 300 مليون جنيه وهو ما لم يتحقق لأي فيلم في مسيرة السينما المصرية والعربية.

اضاف عبده شريف: «لن أقبل على فن هابط أو فن يهدف للتجارة فقط دون أي اعتبار للنواحي الفنية وهذا ليس ما أهدف اليه في مشواري الفني على الاطلاق».

وأشار عبده شريف الى ان الأغاني تواجهها موجات هابطة بسبب الفيديو كليب العاري الذي أساء للمستوى الفني في الأغنية الحالية وهو شيء ليس له علاقة بالطرب والغناء الاصيل بل انه أمر مستورد من الخارج ونحن نقلد تقليدا أعمى بما لا يتفق مع عاداتنا وتقاليدنا.

وقال: «الاغنية الآن في حاجة الى تماسك الأصوات الحقيقية بها اكثر وأكثر، لأننا في هبوط مستمر وهذا من الممكن أن يؤدي الى انهيار صناعة الاغنية، يكفينا مشاكل سوق الكاسيت من مافيا التزوير والسرقة التي اطاحت بعيدا بتلك الصناعة وتحاول الشركات الكبرى «لملمة» بقية صناعة الكاسيت للنهوض بها من جديد».

أوضح عبده شريف ان المحطات الفضائية تقتل الاغنية بما تعرضه من اسفاف وابتذال لفئة قليلة يرغبون في الربح بأي شكل، وأدى هذا الى ظهور عراقيل كثيرة امام تلك الصناعة، مضيفاً «المهم عندهم امتلاء جيوبهم بالأموال ولو على جثة الصناعة، هذا لا يصح، لا بد ان تتعافى الاغنية الحالية وتقف على قدميها لأنها رسالة تصل الى شعوب العالم بما نريد أن نقدمه لهم».

وعن تواصله في أداء أغاني عبد الحليم حافظ قال: «انني من عشاق فن هذا النجم الذي كان شعلة حماس وألهب مشاعر الجمهور بما قدمه لهم من اغنيات وطنية، ولذلك اعتز بأداء أغانيه التي أقدمها بأسلوبي أنا وليس باسلوب العندليب حتى لا أكون نسخة مكررة فيبتعد عن الجمهور».

وفي نفس الوقت لا بد ان أقدم أغنياتي الخاصة وهي بالفعل يجري تجهيزها لي حاليا حتى انطلق بها، لكنني سأقدم ايضا بجانبها أغاني العندليب التي أعشقها، ولا ننسى أن نجوم الطرب أمثال علي الحجار ومدحت صالح وأحمد ابراهيم وغيرهم يعيدون أغاني العندليب ويعتزون بأدائها في حفلاتهم، ولذلك سأواصل مشواري الخاص بجانب أعمال العندليب.

عبده شريف

فضائيات

بين الدفاعات الجويّة والراديكالي الصربي:

التلفزيون السوري يخوض الحرب الباردة!

توفيق رباحي*

■ اذا كانت هناك نعمة يجب على السوريين ان يحمدوا رب العالمين عليها، فهي نعمة القنوات الفضائية. يصلح هذا القول لكل العرب، لكن المقام هنا عن سورية وتحليق الطيران الاسرائيلي في اجوائها ذات مرة الاسبوع الماضي.

قال الاعلام الاسرائيلي ان الطائرات حلّقت فوق القصر الرئاسي باللاذقية بينما الرئيس بشار الاسد موجود فيه.

ما كان الخبر ليخرج للناس لولا الاعلام الاسرائيلي. لكن التلفزيون السوري اطلق سراح الخبر في صيغة مختلفة بعض الشيء شكلا، مثل القول ـ على لسان مصدر اعلامي ـ وكلنا نعلم انه ناطق باسم الرئاسة او الخارجية ـ ان الطيران الاسرائيلي «حلّق فوق شواطئنا» دون اشارة الى القصر الرئاسي، وان «دفاعاتنا الجوية تصدت اليه».

لا يهم إن فوق القصر الرئاسي او تحته. ولا يهم إن كان الرئيس بشار موجودا هناك ام في مكان اخر. هناك مشكلة اعمق من هذه التفاصيل. في هذه الظروف الحالكة التي تدفع الى اليأس، هناك من لا زال يحجر على خبر كهذا وهو يعلم ان السماء ضاقت بالاقمار الصناعية والقنوات التلفزية.

بحثت عن الاسباب المحتملة لهذه الشمولية. حاولت التماس الاعذار. وضعت نفسي مكان السوريين في هذه الظروف القاسية التي جعلتهم في فوهة المدفع. لم اجد جوابا.

وضعت نفسي مكان مسؤولي التلفزيون مدركا مسبقا انهم مجرد موظفين ينتظرون الراتب والتقاعد. حاولت التفكير بمنطق من يحكمون سورية هذه الايام وتقدير مدى الضرر الذي قد يلحقه مثل هذا الخبر بالبلد والناس. لم اجد جوابا.

شيء يحيّر، وبقدر ما تتعاطف مع سورية امام العهر الامريكي والاسرائيلي، بقدر ما تشعر بالغضب ازاء احتقار شعب يعتقد حكامه انه دون سن الرشد (على ما يبدو هو سيظل قاصرا الى يوم الدين).

متى يتعلم السوريون؟ لماذا يصرون على اساليب عمل فترة الستينات والسبعينات. فيما يضيرهم بث خبر الطيران الاسرائيلي؟ هل اعتقدوا انه مسّ بكرامتهم؟ او ربما كشف ضعفهم عسكريا؟ هل بهذا الاسلوب الضحل سيخوضون «معركة المصير» ضد امريكا واسرائيل؟ ماذا لو قصفت المقاتلات الاسرائيلية اهدافها؟

انها مأساة يكشفها الارباك الذي ليس، في حقيقة الامر، الا صورة اخرى لارباك وضبابية سياسيين يعاني منهما نظام الحكم في سورية.

هذه الواقعة قادتني لان اعود بذاكرتي بضعة اسابيع الى الوراء.

كنت عندما اشاهد التلفزيون السوري واقرأ شريط الاخبار المتتابعة في اسفل الشاشة، اكاد اجزم ان الزمن داخل مبنى «التلفزيون العربي (من قال انه امازيغي؟) السوري» توقف في سنوات الحرب الباردة. احذف اخبار الرئيس بشار الاسد ووزرائه ومساعديه، وستجد نفسك امام نوعية من الاخبار تذكرك بخروتشوف وبريجنيف ورؤساء الاتحاد السوفييتي المنقرض.

الاولوية دائما لاخبار منتقاة جيدا كلها مناوئة للوجود الامريكي في العراق. هذه مفهومة، فسورية في حرب غير معلنة مع امريكا. لكن سرعان ما تطاردك اخبار اخرى تحيلك الى «مجموعة عدم الانحياز» و«الكتلة الشرقية» وغيرها من تسميات الحرب الباردة. منتصف الاسبوع قبل الماضي ظل الشريط اياه يعيد اخبار وفد «الحزب الراديكالي الصربي» (انقل التسمية حرفيا كما وردت بقساوتها) الذي زار دمشق وتباحث مع مسؤوليها حول «القضايا ذات الاهتمام المشترك».

لا يمكن الا ان تشعر بالخوف والتوجس وانت تقرأ «الحزب الراديكالي الصربي» لأن صربيا والصرب، وبدون راديكالية، مرادفان للظلم والمظالم التي ابلغتنا وسائل الاعلام في النصف الاول من التسعينات انها ارتكبت في حق المسلمين واقليات اخرى في يوغسلافيا السابقة. فما بالك اذا اضفت الراديكالية والراديكاليين.

بحثت في «غوغل» فعثرت على «الحزب الراديكالي الصربي. وكما يوحي اسمه، انه حزب قومي متطرف يحوز على ثلث مقاعد البرلمان، وهو، باجماع ما نُشر، يشكل خطرا على البلد والمنطقة بسبب تطرفه. مسكينة سورية، ضاقت بها الدنيا وقلّ اصدقاؤها حتى اصبحت زيارة مسؤول مثل هذا خبرا رئيسيا بتلفزيونها.

تذكرت كيف ان العقيد معمر القذافي اشترى صداقة اليميني النمساوي يورغ هايدر، وكيف اشترى صدام حسين صداقة المتطرف الفرنسي جون ماري لوبن.

وبعده هيمن خبر وزير الاعلام الاوكراني الذي زار دمشق و«اكد لدى وصوله الى مطارها عمق العلاقات الثنائية بين البلدين».

تلكم هي نوعية الاخبار «الهامة» التي تستحق العناية والاهتمام. اما خبر الطيران الاسرائيلي محلقا فوق اللاذقية، فيضر بصحة ومعنويات الشعب السوري، فوجب الحجر عليه. لو امتنع التلفزيون عن اخبار الوفود والمؤتمرات ووزراء الصفوف الاخيرة، واقتصر على بثها في نشرات الاخبار، لكان افضل له ولمن يشاهده. فهو على الاقل كان سيستر عيوبه وعيوب الذي يقولون ان سورية (واستنتاجا تلفزيونها) يقفان في الخط الامامي لمواجهة امريكا ومخططاتها بالمنطقة.

التشاطر على موريتانيا

■ الموريتانيون غاضبون على محمد حسنين هيكل لانه وصف بـ«الجزيرة» بلادهم بانها «هامشية وديمقراطيتها غير مهمة».

ليس غضب صحافيين او بضعة سياسيين، بل غضب رسمي عبّر عنه الرجل الثاني في السلطة، رئيس الحكومة يوم الاحد.

والله معهم حق، بغض النظر عن صحة كلام هيكل من عدمها. معهم حق لان كل الناس، كل العرب الغارقين في العار والذل، «يتشاطرون» على موريتانيا في ما يشبه انفصاما بالشخصية: عندما يتعلق الامر بالمقارنات، موريتانيا دولة هامشية، لكن عندما يتعلق الامر بالعلاقات مع اسرائيل كل الناس تقوم وتخاف هذه العلاقات كأنها هي التي ستبيع القدس وما تبقى من فلسطين.

بُعيد خروجها من استفتاء دستوري اهم ما فيه انه قلّص فترة حكم الرئيس الى ولايتين (في زمن التوريث والتأبيد)، جاء هيكل ليقول ان ديمقراطية موريتانيا غير مهمة.

أنه، باختصار، مساس بكبرياء بلد يصارع ليثبت انه مثل كل البلدان. ويصارع على جبهة اخرى ليثبت للعرب انه منهم، وهو، في الحقيقة، لا يحتاج لذلك لان الانتماء لهذه الامة الزفت لم يعد يشرف احدا!

سيقول قائل لمّ لا موريتانيا طالما ان هيكل، بكلامه في «الجزيرة»، اغضب كثيرا من الدول والاشخاص. بل اغضب هيئة الاذاعة البريطانية «بي بي سي» واشعلها معركة قضائية بينها وبين القناة القطرية بسبب قوله ان «بي بي سي» تمولها المخابرات البريطانية.

غير انه في حالة موريتانيا، هو القول الخطأ في التوقيت الخطأ. وهل ديمقراطية مصر مهمة؟ وديمقراطية الاردن؟ والكويت؟ وسورية.. الخ؟ كيف يحكم الاستاذ هيكل بان ديمقراطية «س» مهمة وديمقراطية «ع» غير مهمة؟

والتوقيت الخطأ لان موريتانيا خارجة للتو (الاحد قبل الماضي) من الاستفتاء اياه الموصوف بانه عرس نادر، حتى انني قرأت لموريتانيين ان بلادهم لقّنت جيرانها والعرب درسا في الديمقراطية. ثم يأتي «الحاج هيكل» لـ«يسفّه» التجربة بالقول انها غير مهمة!

واذا كان هيكل اخطأ بـ«تهميش» موريتانيا (ولو بمجرد كلمة)، فالموريتانيون افرطوا في رد فعلهم. فليس معقولا ان تحضر جملة هيكل في مؤتمر صحافي عقده رئيس الحكومة، ويشعر الحاضرون ـ ومعهم رئيس الحكومة ـ بالغبن والاهانة والظلم. وليس معقولا ان يهدد الصحافيون ويتوعدون برد الصاع صاعين، ويتهمونه بالجهل وقلة الاطلاع.

بائع الاعشاب!

■ يبدو انه موسم الرؤساء. فبعد المسرحية التي نال بها الرئيس اليمني علي عبد الله صالح صك غفران يبقيه في الحكم الى الابد، جاء دور المشير اللواء الجنرال العميد الركن الماريشال عمر البشير، قائد السودان الى.. الانقراض.

وقف البشير الاسبوع الماضي محتفيا بمرور 17 عاما على استيلائه على الحكم بالقوة. قال ان «ثورة الانقاذ» صمدت 17 عاما «رغم المحن والمكائد». غير انه لم يقل ان السودان لم يصمد. كنت اعتقد ان الاحتفالات بالانقلابات لم يعد لها مكان الا في ليبيا، لان اصحابها يستحون من تذكير الناس بانهم وصلوا للحكم فوق دبابة. لكن البشير اثبت العكس ووقف امام حشد من الناس يعدد «انجازات» ثورته.

وبطبيعة الحال، «الحلو ما يكملش» الا بحضور تلفزيون الدولة (لا يوجد غيره) فيقطع ارساله ليبث الخطاب التاريخي بالبث المباشر بغض النظر عن مدته ومضمونه، ولتذهب بقية البرامج الى جهنم. هذا «انجاز» يمكنكم اضافته الى قائمة انجازات «ثورة الانقاذ».

الفرق بين صالح والبشير ان مريدي ابو احمد (صالح) جاؤوا ـ او جيء بهم ـ بعشرات الالاف، بينما كان مريدو البشير اقل من ذلك بكثير رغم محاولات اصحاب الكاميرا والتلفزيون التركيز على الصور الامامية القريبة من منصة الخطاب حتى يظهر الاكتظاظ. وعندما تخطئ الكاميرا فتلتقط ما وراء الحزام البشري القريب من المنصة تبدو الدنيا فارغة فتكاد تقول انه بائع اعشاب في سوق مغاربية لا رئيس دولة يخطب في ذكرى «خالدة». جاهدت كي اشاهد الفرجة الى اخرها علّها تسفر عما اسفرت عنه مسرحية صالح، لكنني استسلمت وغيّرت القناة عندما سمعت البشير يبشّر من حوله ان بلادهم هي الاولى عربياً وافريقياً في جلب الاستثمارات الخارجية، اي افضل من الكويت وقطر والسعودية والمغرب، وانها الاولى افريقياً والثانية عربياً في مجال الاتصالات (والمعنى هنا هو سوق الهواتف الجوّالة)، اي افضل من نيجيريا وجنوب افريقيا ومصر ودول اخرى.

مكاسب لا حصر لها حتى خلت البشير يتحدث عن السويد. حولّت القناة وقلت: اذا كان هذا الكلام صحيحا، فانا سأطلب لجوء سياسيا في السودان، بل في دارفور.

* كاتب من اسرة «القدس العربي»

toufik@alquds.co.uk

وارضيات